# دلالة صيغة ( تفاعل ) في توجيه النص الخطابي وتأويله

إبراهيم عبدالله سويسي / قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية طرابلس، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا.

بريد الكتروني : 09128038za@gmail.com

**الملخص:**

يعد التأويل ظاهرة لغوية لها جذورها التاريخية القديمة، تطورت عبر العصور شيئا فشيئا وتوسعت مجالاتها العلمية، وصار لها اهتمامات ودراسات بحثية.

يهدف هذا البحث إلى إبراز دلالة صيغة ( تفاعل) في فهم التوجيه الخطابي، وبيان العلاقة التي تربط بين الصيغة والنص، من خلال ما سنطرحه من نماذج تطبيقية توضح أثر تلك العلاقة في التوجيه، سالكين في ذلك كله المنهج الوصفي التحليلي، اقتضت أن تكون على ما يلي:

المبحث الأول: تناول توظيف صيغة ( تفاعل) في فهم دلالة الخطاب، اشتملت دراستها في توظيفها صرفيا، ومعجميا، بالإضافة إلى التوظيف السياقي.

أما المبحث الثاني، تركزت الدراسة فيه على أثر هذه الصيغة في دلالة النص بين الفك والإدغام، واختلاف صيغ معانيها في استعمالات متعددة في تأويل توجيه النص.

الخاتمة: وفيها أهم وأبرز النتائج.

## Meaning of the wording (interaction) in directing and interpreting the written text

Abstract:

Interpretation is a linguistic phenomenon with ancient historical roots, evolving through the ages gradually and expanding its scientific fields, with interest and research studies.

This research aims to highlight the significance of the wording (interaction) in understanding the discourse, and to demonstrate the relationship between the wording and the text, through the application models that we will present illustrating the impact of that relationship in the directive, by all the descriptive and analytical approaches that have required:

Research 1: Addressing the use of a formula (interaction) in understanding the connotation of the discourse, its study included its purely and lexicon employment, as well as contextual recruitment.

Second, the study focused on the effect of this wording on the text's connotation between jaw and minus, and the different wording of its meaning in multiple uses in interpreting text guidance.

Conclusion: With it the most important and outstanding results.

**المقدمة:**

يعد التأويل ظاهرة لغوية لها جذورها التاريخية القديمة، تطورت عبر العصور شيئا فشيئا وتوسعت مجالاتها العلمية، وصار لها اهتمامات ودراسات بحثية، ناهيك عن المؤلفات والرسائل العلمية التي اهتمت بالجانب الدلالي، ومن هذه الدراسات التي اطلعت عليها: الخلافات الصرفية في توجيه بعض الأبنية في القرآن الكريم وأثرها في المعنى لشريف بن عبد الكريم النجار، تَعَرَّضَ فيها إلى دراسة بعض أبنية الألفاظ في القرآن الكريم، واختار منها أبنية الأسماء وأبنية الأفعال والأبنية المشتركة، غير أنه لم يتطرق إلى صيغة(تفاعل) ألبتة، ودراسة الدكتور خلف عايد الجرادات بعنوان: الترادف الدلالي بين صيغتي (افتعل)و(تفاعل)، عالج فيها مشكلة الترادف بين هاتين الصيغتين من جهة معنى المشاركة صرفيًّا، وخلص فيها إلى أن لا وجود للترادف بين هاتين الصيغتين على معنى المشاركة صرفيًّا، ولم يتحدث فيها عن دلالة (تفاعل) في توجيه النص وأثرها فيه، ودراسة أخرى لعودة الله القبيسي بعنوان: سر الإعجاز في نوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، تناول فيها بشكل واسع دراسة المشتقات، واقتصر فيها على بيان المعنى المغاير لهذه المشتقات التي لها أصل واحد، وهي في رأيي أنه قد حدا فيها حدو معجم المقاييس في اللغة للفارسي مع الحصر والتعليل، وتظل تلكم الدراسات إلى حد ما مقتصرة على جانب معين من

جوانبها العلمية، ولما كان معرفة المعنى هو الذي يسعى إليه كل باحث في اللغة؛ فإن هذه الدراسة التي بين أيدينا جاءت لتطرح جانبا مهما في الدراسات الصرفية حيث اقتصرت على تناول الصيغة الصرفية ( تفاعل) وبصورة انفرادية مستقلة، حتى يتجلى دورها وتتضح دلالتها في توجيه النص الخطابي وتأثيرها فيه من خلال مباحث سنبينها لاحقا .وبما أن علم الدلالة يهتم بدراسة معاني الألفاظ والمعنى اللغوي التركيبي في آن واحد، حاولت في هذه الدراسة أن أبرز في كل مرة ارتباط المعنيين معا وأداء دورهما من خلال تأويل معنى هذه الصيغة.

ومن هنا تبرز أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على تأثير هذه الصيغة في دلالة الخطاب، وما مدى انعكاسات هذا التأثير في فهم المعنى؟ وهي محاولة من الباحث لإبراز دور التطبيق الصرفي في أداء المعنى وتأويله.

وهذا يجعلنا نطرح التساؤل الآتي: هل اختلاف التأويل لهذه الصيغة يتحتم عليه اختلاف في الفهم الخطابي؟ وهل البناء الصرفي وَحْدَهُ كفيلٌ بأداء دوره في تأويل النص؟

ولهذا ستكون منهجية دراستنا وفق المنهج الوصفي التحليلي القائم على عرض النماذج المعنية بالدراسة وتحليلها بما يتلاءم مع الغرض وتوضيح الهدف. فجاءت خطة البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: توظيف صيغة ( تفاعل) في فهم دلالة الخطاب، ويتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: توظيفها صرفيا.

المطلب الثاني: توظيفها معجميا.

المطلب الثالث: توظيفها سياقيا .

المبحث الثاني: أثر صيغة ( تفاعل) في توجيه النص الخطابي، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: صيغة( تفاعل) بين الفك والإدغام.

المطلب الثاني: استعمالات ( تفاعل) في تأويل توجيه النص.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

**المبحث الأول: توظيف صيغة ( تفاعل) في فهم دلالة الخطاب:**

**المطلب الأول: توظيفها صرفيا:**

التوظيف الصرفي له دور محوري في التأويل وتأثير النص الخطابي من حيث اختيار الصيغة الأقرب إلى المعنى من وجهة نظر صحة الكلمة وزنا ومعنى، ولا أريد هنا أن أستعرض الكلمات الصرفية وأتحدث عن سبب اعتلالها قلبا أو إبدالا، وإنما غايتي من هذا المبحث أن أسوق الحديث حول دلالة ( تفاعل) ودورها في النص صرفيا، وهذا النص الذي سيأتينا يمكن أن نستوضح منه مفهوم التوظيف في دلالة المعنى: " ... ، ومن ثمّ صحّ قولهم: ازدوجوا، وإن كان حرف العلة على صورة يجب فيها الانقلاب، ولكنّه صحّ لما كان بمعنى تفاعلوا، وتفاعلوا يَلْزَمُ تصحيحُ حرف العلة فيه لسكون الحرف الذي قبل حرف العلة، فصار تصحيح هذا كتصحيح: عور، وحول، لمّا كان في معنى تفاعل، وتفاعل قبل حرف العلة منه ساكن"، ( الفارسي، الحجة للقراء السبعة ( 1413 هـ 1993م)، 5/ 401)، فصحة الحرف في لفظة (ازدوجوا) كانت الفيصل في الترجيح إلى معنى (تفاعل)، وقال أبو علي:" صحة الواو في (اجْتَوَرُوا) دليل على أنه بمعنى (تَفاعَلوا)؛ لأن تفاعلوا يلزم تصحيح الحرف المعتل فيه لسكون ما قبلها" (التعليقة على كتاب سيبويه(1410هـ –

1990م) ،137/4)، فأبو علي وظّف صحة الواو من تفاعلوا في تقرير المعنى الدلالي لها، وأنها تختلف عن( افْتَعَل) التي يلزم إعلال الحرف المعتل فيه، وبين علته بقوله:" لأنه لا مانع من الإعلال لولا وقوعه بمعنى ما يصحُّ"، ثم أكد ذلك، فقال:" ولو بَنَيْتَ افْتَعَلوا لا تريد به معنى تفاعلوا لأعللت، فقلت: اكْتالوا، وابْتاعُوا، لأن باعَ من ابْتاعَ بمنزلة قال، وباعَ في أنّ العين مُتحركٌ متوسط لمتحركين"( التعليقة على كتاب سيبويه(1410هـ - 1990م)،137/4).

وقد صرح ابن جني بهذا في مسألة القلب من عدمه حينما قال:" ألا ترى أن قبل الواو في (تعاونوا، وتجاوروا) ألفا، فلو قلبت الواو ألفا لالتقى ساكنان, فحذفت إحداهما فصار اللفظ (تعانُوا، تجارُوا)، وزال بناء (تفاعلوا) فترك ذلك لذلك، وكذلك صحت في (اجتوروا) لأنه بمعنى (تجاوروا), ولولا ذلك لوجب إعلال (اجتوروا، واعتونوا) لأنهما بوزن (افتعلوا)" (ابن جني، المنصف(1373هـ - 1954م)، ص 261).

وتوضيحا لما سبق بين الفرق في المعنى وتأثير الإعلال الصرفي فيه، فقال:" وإنما أعلوا (اختاروا)، و(ابتاعوا)؛ لأنهما ليسا بمعنى (تخايروا), و(تبايعوا), فجاءا على ما ينبغي لهما من الإعلال الذي تقدم شرحه في فصل اعتاد وانقاد"، ثم استطرد قائلا :" لو بنيت افتعلوا من ازدوجوا على غير معنى ( تفاعلوا) لأعللت... ولما زال معنى (تفاعلوا) الذي يوجب التصحيح, خرج إلى باب (اختار, وابتاع), فلم يجز إلا إعلاله كما لم يجز إلا إعلال(اختار، وابتاع)"، (ابن جني، المنصف(1373هـ - 1954م)، ص30).

ونتيجة لذلك؛ فهذا التوظيف الصرفي في دلالة المعنى الذي سبق ذكره تركز في اختيار الصيغة الصرفية على الصحة والاعتلال، كما هو الحال عند الرضي - أيضا- في بيان علة

توظيف ( تفاعل) في الكلمة دون الأخرى بقوله:" وصح باب ازدوجوا واجتوروا؛ لأن باب افتعلوا ههنا بمعنى تفاعلوا، وصح عين تَفَاعل في مثله، نحو: تزاوجوا وتجاوروا؛ لعدم العلة الموجبة لقلب الواو ألفا، فأجروا ما كان في معناه عليه تنبيهًا على كونه بمعناه، وصح باب: اعْوَارّ واسْوَادّ؛ لأنه لو أعل لأدى إلى اللبس..." (شرح شافية ابن الحاجب (1425 هـ- 2004م)، 1/ 100). ولعلني أنقل هنا نصا طويلا للشاطبي أستوضح من خلاله علة التأويل في اختيار المعنى على صيغة (تفاعل) حيث قال:" فإن لم يكن معناه معنى (تفاعل) جرى على ما تقدم من وجوب الإعلال نحو: اقتادوا، وارتادوا، واعتادوا، لأنه ليس معناه تقاودوا، ولا تراودوا، ولا تعاودوا، كما كان اختاروا، وابتاعوا، واكتالوا ليس على معنى تفاعلوا، فجرى على أصل الباب،... وإن كان بمعنى تفاعلوا فلا يخلو أن تكون العين ياء أو واوا، فإن كانت ياء فيقتضى كلام الناظم أنه لا يصح كما صح تفاعلوا، فقولهم: استافوا بمعنى تسايفوا- أي: تضاربوا بالسيوف- واجب الإعلال، وإن كان في معنى ما لا بد من صحته، ووجه ذلك أن ترك قلب الياء ألفا أثقل عليهم من ترك قلب الواو ألفا لبعد ما بين الألف والواو وقرب ما بينها وبين الياء..."(الشاطبي، شرح المقاصد الشافية(د.ت) 257/9).

وسنلحظ في كلام أبي حيان الآتي في تقديره للفعل (تسابق) من قوله تعالى:( واستبقوا الخيرات)، مستندا في كلامه على لزوم الفعل، حيث قال:" وذكرنا أن (اسْتَبِقْ) بمعنى: تسابَقْ، فهو يدل على الاشتراك، ...كما تقول: تضاربوا، واستبق لا يتعدى، لأن تسابق لا يتعدى، وذلك أن الفعل المتعدي، إذا بنيتَ من لفظٍ، معناه (تَفَاعَلَ) للاشتراك، صار لازمًا، تقولُ: ضرَبْتُ زَيْدًا، ثم تقول: تَضَارَبْنَا..." ( البحر المحيط،38/2) ، فأول ( استبق) بمعنى ( تسابق) التي تدل على المشاركة لأنه غير متعد، وفي لفظ ( تراءا) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ

مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ الشعراء: 61 ، رجح قراءة الجمهور بناء على الدلالة الصرفية وعلل ذلك بقوله:" وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، لِأَنَّهُ تَفَاعَلَ"( البحر المحيط(1420ه)،159/8).

وكل ماتقدم ذكره يدلك على أن التوظيف الصرفي له تأثير في توجيه النص لكونه يفرض اختيار الصيغة التي تتناسب مع السياق، أوقد يضعف وجها ويختار وجها آخر لعلة تصريفية، الأمر الذي اعتمد عليه في تضعيف قراءة ابن أبي إسحاق للفظ ( تشابه) من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ البقرة، 70، قال أبو حيان:"...وتوجيه هذه القراءات ظاهرٌ، إلا قراءة ابن أبي إسحاق (تشَّابهتْ)، فقال بعض الناس: لا وجه لها. وتَبْيينُ ما قالهُ: إنَّ تشديد الشين إنما يكون بإدغام التاء فيها، والماضي لا يكون فيه تاءان، فتبقى إحداهما وتدغَمُ الأخرى، ويمكن أن توجَّهَ هذه القراءةُ على أن أصله: (اشَّابَهَتْ)، والتاء هي تاء البقرة، وأصله أن البقرة (اشَّابَهَتْ عَلَيْنَا)، ويقوِّي ذلك لِحاقُ تاء التَأنيث في آخر الفعل، أو (اشَّابَهَتْ) أصله: (تَشَابَهَتْ)، فأدغمت التاء في الشين واجتلبت همزةُ الوصل"(البحر المحيط( 1420ه)،410/1)، فالمتأمل في النص يظهر له جليا التوظيف الصرفي لقراءة ابن أبي إسحاق، وأثر التأويل الذي ذهب إليه أبو حيان فيها.

ومن جانب آخر نرى أن التوجيه الصرفي في (تفاعل) له دلالات صرفية متعددة ترتب عليها اختلاف في الأصل، فمن ذلك اختلاف العلماء في مسألة حذف إحدى التاءين من مضارع (تفاعل)، فذهب جماعة من الكوفيين إلى أن المحذوف هي التاء الأولى وهي حرف المضارعة، وذهب سيبويه وغيره من البصريين: أن المحذوف هو الثانية لأنها هي التي تسكن، وتدغم في، نحو: فَادَّارَأْتُمْ ووَازَّيَّنَتْ، أي: فكما وقع إدغام التي لغير المضارعة، يكون الحذف لها أيضا؛

فكلاهما تخفيف، وكذلك لأن الأولى حرف معنى، فهي أولى بالبقاء، والثانية لا تدل على معنى، فهي أولى بالحذف(الشاطبي، شرح المقاصد الشافية(د.ت)،466/9).

ومن زاوية أخرى وفي ضوء قراءة متجددة للنص أن هذا التوظيف مكن أهل اللغة من تصويب الألفاظ على القياس اللغوي المطرد كما ورد في ( تفاوت)، فقد ذكر الزبيدي أن (تَفَاوُتا مُعتلَّةَ الوَاوِ)، وفي مصدره ورد بفتح الواو وكسره وضمه حَكَاية عن ابن السِّكِّيتِ، والكِلابِيّين والعَنْبَريّ، وَهُوَ على غير قِيَاس كما نص هو على ذلك؛ لأَن المصدرَ من تَفَاعَل يَتَفَاعَلُ: تَفَاعُلٌ، مضمُوم العينِ، وفي توجيهه لبيان علة ذلك، قال:" قال شيخنا، أما الضمُّ فهُو القياسُ، وعليه اقتصر الفيّوميُّ في المصباح، وأَما الكسرُ فقالوا: إنه محمولٌ على المعتلّ من هذا الوزن، كالتداني والتَّواني، ولا يعرف في الصّحيح في غير هذا المصدر، وأما الفتح فإنه على جهة التخفيف، والتثليث حكاه ابنُ قتيبةَ في أدب الكاتب"(تاج العروس(د.ت)، 5/ 35، مادة: فوت)، ونظير ذلك ما قاله أهل اللغة في تصحيح لفظة (التخاجؤ) من قول حسان بن ثابت – ﷺ–(البسيط):

دَعُوا التَّخاجُؤَ وامْشُوا مِشْيَةً سُجُعا ... إنّ الرِّجالَ ذوُو عَصْبٍ وتَذْكِيرِ( البغدادي (1418هـ–1997 م)،خزانة الأدب،72/4).

حيث ذهب ابن بري إلى أنها ( التخاجئ) بكسر الجيم في رواية الصحاح، وهو ليس كذلك كما قال ابن منظور:" والصحيح التَّخاجُؤُ لأن التفاعُل في مصدر تفاعل حقه أن يكون مضموم العين، نحو التَّقاتُلِ والتَّضارُبِ ولا تكون العين مكسورة إلا في المعتل اللام، نحو: التَّغازِي والتَّرامِي، والصواب في البيت دَعُوا التَّخاجُؤَ"( لسان العرب(د.ت)،1105/2، مادة: خجأ).

وخلاصة القول: إن التوظيف الصرفي في بيان تأويل اللفظ وتصحيحه على القاعدة يؤثر في توجيه النص معنى ودلالة.

ومن وجهة نظر أخرى فإن هذا التوظيف يعمد إلى تأويل مغاير في البنية الصرفية وفي تركيب الصياغة النحوية، قال الحلبي في تأويله قراءة ( تشابه) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ البقرة: 70، في إحدى القراءات التي ذكرها:" وقرئ: (تَشَّابَهَ) كذلك إلا أنه بطرح تاء التأنيث، ووجهُها على إشكالها أن يكونَ الأصل: إن البقرة تشابَهَتْ، فالتاء الأولى من البقرة، والتاء الثانية من الفعل، فلمَّا اجتمع متقاربان أَدْغَم، نحو: الشجرةُ. . . إلا أنه يُشْكِل أيضا في تَشَّابه من غير تاء، لأنه كان يَجبُ ثبوتُ علامةِ التأنيثِ، وجوابُه أنه مثلُ:

..... ولا أرضَ أَبْقَلَ إبْقالَها

مع أن ابنَ كَيْسان لا يلتزم ذلك في السَّعَة"( الدر المصون(د.ت)،4277/1)، فقد رأينا الحلبي قد وظف الجانب الصرفي في تقدير هذه القراءة، غير أنه ذهب إلى وجود إشكال جوابه كما رآه صياغة نحوية، وغاية القول إن التوظيف الصرفي له تأثيرات متعددة تختلف بحسب التأويل والتوجيه للنص الخطابي.

**المطلب الثاني: توظيفها معجميا**

للتوظيف المعجمي أثر في فهم الخطاب في بعض الأحيان، ويؤدي إلى اختلاف في توجيه النص، و كان هذا الاعتبار عند القدماء له نظر واهتمام، قال ابن جني:" فأما تفسير أهل اللغة أن (استاف القوم) في معنى (تسايفوا) فتفسير على المعنى، كعادتهم في أمثال ذلك، ألا تراهم قالوا في قول الله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ الطارق:6، إنه بمعنى مدفوق، فهذا- لعمري- معناه، غير

أن طريق الصنعة فيه أنه ذو دفق، كما حكاه الأصمعي عنهم من قولهم: ناقة ضارب، أي: ضربت، وتفسيره: أنها ذات ضرب، ثم ذكر لهذا نظائر نحو: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ هود:43، قبل معناه لا معصوم،..."(الخصائص(د.ت)،153/1)، وهذا ينبئك بأن الصيغة الصرفية قد توظف لغويا لتفسير المعنى إذا تواردت عليها معان مختلفة، (تفاعل) –مثلا– لها معان متعددة توظف بحسب السياق الذي يتناسب لغويا مع النص، فاستعمالها في نص ما، يضفي عليه أثرا دلاليا قد لا نجده في صيغة أخرى، والكلمة الموضوعة لمعنى لا يحتمل غيرَه نصٌّ، قال السامرائي:" العربية تميل إلى التخصيص، فلا تجعل صيغتين بمعنى واحد كما هو واضح من استعمالاتها، وقد خصت كل صيغة باستعمال ومعنى" ( السامرائي، معاني النحو(1420 هـ– 2000 م)، 84/2)، وقد كان الشاعرُ زُهَيْرٌ موفقا في اختيار لفظة (تفانوا) من قوله :

تداركتما عبسًا وذبيان بعدما ... تفانوا، ودقوا بينهم عطر منشم ( الزوزني، شرح المعلقات السبع (1423ه،2002م)، ص139).

قال محمد علي طه الدرة:" تفانوا: أفنى بعضهم بعضًا، لأن صيغة تفاعل تدل على ذلك"( فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال(1409 هـ– 1989 م)، 2/ 300)، وفي اختياره للتعبير بهذه الصيغة له غاية في الدقة والجمال، وفي الصورة – أيضا– التي تعكس دلالة القوة والاشتباك بالسيوف من الطرفين إلى أن أفنوا بعضُهم بعضا، وهذا الوصف الذي يدل على التشارك في التفاني والاتصاف به لا تدل عليه صيغة أخرى من مشتقات هذه الكلمة، وهو توظيف أراه يخدم النص من جهة المعنى، فدلالة (تفاعل) إنما حصل بسبب التفسير اللغوي، ومثله أيضا ( ادّارأتم): حيث تعددت معانيه الواردة في كتب اللغة فقد وردت عند ابن عباس ومجاهد بمعنى: اختلفتم، وعند الضحاك بمعنى : اختصمتم، وبمعنى: شككتم عند البعض، وجاءت بمعنى: تدافعتم على الأصل وهو الأولى

لتناسبه مع معنى صيغة ( تفاعل) في هذا الخطاب ( ينظر: الخليل، العين (د.ت)،61/8،مادة:درأ)، و(ابن منظور، لسان العرب (د.ت)، 1347/2، مادة درأ)، و(النويري، نهاية الأرب(1430هـ-2009م)، 214/13)، وسنلاحظ هذا الأثر في تأويل الزمخشري لمعنى ( مشتبها ومتشابها) حيث اعتمد فيما ذهب إليه على المعنى اللغوي في أنَّ: اشتبه الشَّيئان وتشابها، هما بمعنى واحد، كقولك: استوى وتساوى، واشترك وتشارك( الكشاف،(1407 هـ)، 52/2)، ولا شك أن هذا التوجيه له دلالته اللغوية، حيث تختلف فيما إذا كانا غير متفقين دلاليا، وهو ما رجحه "خلف الجرادات" في دراسته:( الترادف الدلالي بين صيغتي افتعل وتفاعل. (1434ه، 2013م). ص126)، واتفاقا مع ما ذكر يمكن القول: إن التوظيف اللغوي في تأويل اللفظين هو ما دفع أهل اللغة والتفسير إلى إيجاد قاسم مشترك يجمع اللفظين، ثم توجيه هذا النص إلى معنى متقارب، فقد قال أبو السعود بعد أن ذكر الألفاظ المتعددة للفظة (تشابه واشتبه):" ...وفيهِ دلالةٌ على أنَّهم ميَّزوها عن بعض ما عداها في الجملة..." ( إرشاد العقل السليم(د.ت)،112/1)، وهو الأثر ذاته في المعنى المعجمي للفظة (ادّارك) و(أدرك) حيث ذكر المفسرون لها معاني متعددة، وظّفوها فيما ذهبوا إليه من توجيهات للنصوص، ما أدى إلى اختلاف المفهوم الخطابي لتلك النصوص، فـ (ادارك) في الأصل (تتدارك) وهي بمعنى التتابع واللحاق، وبقراءة فاحصة لسبب الخلاف فقد أدرك "فريد السُّليم" منشأ ذلك، ورده إلى الاختلاف في المعنى المعجمي والسياق، حيث قال:" وقد اختلف المفسرون في دلالة (ادارك و أدرك) في الآية الكريمة، ومنشأ الخلاف من المعنى المعجمي لـ( درك) وسياق الآية..."( الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم ( 1427ه)، ص 161)، وهذا الاعتبار هو قراءة لاستعمال الصيغة الصرفية في السياق المعجمي، وأما اعتبار البنية ليس السبب المباشر في الخلاف الدلالي، مما يدل دلالة واضحة على أن الاعتبار المعجمي له دور في تأويل النص وهو المعول

عليه في دلالة الخطاب، وبشكل أوضح فإن استعمال الصيغة في سياقها تؤدي دورها في النص، فلو وظفنا صيغة أخرى لما أدت وظيفتها بالمعنى المقصود، وهذا ما عناه "أبو الحسن" في معرض حديثه عن الفرق بين (تزاور) و(تزورُّ) عندما قال نقلا عن الطبرسي:" ومن قرأ (تزورُّ) لا معنى له في هذا الموضع إنما يقال هو مزور عني أي: منقبض عني" (الطبرسي، مجمع البيان (د.ت)،284/6)، فالمعنى اللغوي لـــ(تزاور)، أكثر تناسبا من صيغة (تزورُّ)؛ لأن الازورار الانقباض، وكما هو الحال – أيضا– عند الشاعر الهذلي في وصفه لشدة الحرب والتلاقي، وفُضل لهذا الوصف اختيار صيغة ( تفاعل) في التعبير الدقيق لصورة فارسين يتنازلان؛ توظيفا للمعنى المعجمي، حيث قال:(الكامل)

فتناديا وتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مخدَّع

يتناهبان المجد كُلٌّ واثق ببلائه واليومُ يومٌ أشـــــنع

فتخالسا نفسيهما بنـــوافذ كنوافذ العُبُط التي لا تُرْقَع

وقد علق الشيخ الشنقيطي في شرحه للديوان على رواية (يتناهبان) بقوله:" وهو أجود" في إشارة إلى توظيف (تفاعل) للمعنى اللغوي كونها أبلغ من رواية ( متحاميين).( الشنقيطي، ديوان الهذليين، (1385ه)، ص 18–20).

**المطلب الثالث: توظيفها سياقيا:**

لا فرق من حيث المعنى بين فاعل وتفاعل في إفادة كون الشيء بين اثنين فصاعدا، وإنما الفرق من حيث دلالة السياق، كما في قولك: إن شتمتني فما أشاتمك، ونحو ذلك، فمن حيث المغزى والمقصد الحقيقي بين البابين لا فرق، بل الفرق بينهما من حيث التعبير عن ذلك المقصود، ولذلك

قال ابن عاشور:" والتداين تفاعل ، وأطلق هنا – مع أن الفعل صادر من جهة واحدة وهي جهة المُسَلِّفِ – لأنك تقول ادّان منه فَدَانَه. فالمفاعلة منظور فيها إلى المخاطبين وهم مجموع الأمة، لأن في المجموع دائنا ومدينا. فصار المجموع مشتملاً على جانبين، ولك أن تجعل المفاعلة على غير بابها كما تقول: تداينت من زيد "(التحرير والتنوير(1984ه)، 98/3)، فقد ربط ابن عاشور صيغة ( تفاعل) بسياق الآية (الخطابي)، فظهر المعنى على أن المفاعلة منظور فيها إلى المخاطبين وهم مجموع الأمة، وفي المجموع دائن ومدين، فصار المجموع مشتملا على جانبين. فدلالة السياق هي التي تجعل اللفظة أكثر تأثيرا وأنسب تقديرا من غيرها، وأوجه مما لو وضعت كل لفظة تبعا لبنائها، وذهب غيره من المفسرين إلى غير ذلك، وكذلك دلالة ( مشتبه) و(متشابه) في قوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ الأنعام: 99، حيث يرى أهل اللغة أن اشتبه وتشابه بمعنى واحد، وسر التغاير هو كراهة إعادة اللفظة بعينها، والأظهر أن السياق هو من حدد التناسب اللفظي للنص الخطابي، ففي الآية الأولى يقتضي المقام أن تكون اشتبه؛ لأنها في بيان قدرة الله عز وجل وآياته الباهرة في خلقه، بينما جاءت الثانية في سياق بيان الأطعمة وما يحلِّله ويحرِّمه أهل الكفر؛ افتراء على الله، وبيان عقائدهم الباطلة "فالفعل اشتبه أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال، وأنَّ تشابه أكثر ما يفيد المشاركة في معنى من المعاني"(الصوت والمعنى في العربية ص: 12)،وجاء في المصباح المنير( الفيومي (د.ت)،303/1، مادة: شبه): "فالمشابهة: المشاركة في معنى من المعاني، والاشتباه: الالتباس"، وزاد العيني: بأن في ( مشتبهات) معنى التكلف،(عمدة القارئ (د.ت)، 297/1).

فتوظيف الصيغة في سياقها هو ما يجعل القارئ للنص يوجه دلالة اللفظ إلى معناه المناسب له وينفي ما عداه، وقد أوضح الدكتور محمد الطريحي ذلك في مستهل تحليله وتأويله للفظ

( يتنازعون) من قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ الطور: 23، فقال:" وسياق الآية وتفسيرها يُظهر بشكل واضح أن الأثر الكلي في تعدي الفعل إلى المفعول...أما هذه الصيغة بوزنها المضارع ( يتنازع) وبصيغتها الجمعية( جمعا مذكرا سالما الدال على أكثر من اثنين) إنما هو تشارك جماعي، فإنها تدل دلالة أكيدة على التبادلية في الحدث وهي دلالة لزومية... ويدل على ذلك سياق الآية الدالة على الصيغة الجمعية" (أسلوب صيغ أفعال المشاركة ومصادرها في الأداء النحوي، ص4،5)، فقد اعتمد في تحليله للنص على سياق الآية في نفي المفعولية لأحد الطرفين. كما نراه أيضا عند فريد السُّليم بعد أن عدد ما ذهب إليه المفسرون في تأويل معنى (ادارك وأدرك) خلص إلى أن سبب الخلاف في تأويل ( ادارك وأدرك ) هو خلاف في المعنى والسياق وليس خلاف في بنية الكلمة، وأضاف بأن ما ذكروه من أن تفاعل بمعنى أفعل لا يعول ولا يحمل عليه؛ لأنهم أرادوا التعدي فحسب. (الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم (1427ه) ، ص 161، 164،165).

**المبحث الثاني- أثر صيغة ( تفاعل) في توجيه النص الخطابي:**

**المطلب الأول- صيغة( تفاعل) بين الفك والإدغام:**

انطلاقا من مبدأ أن الحركات لها جانب دلالي، فإن التضعيف والإدغام على هذا الاعتبار له جانب دلالي أيضا يؤدي إلى مفهوم مختلف في حدود المادة الواحدة، وبما تقدم فإننا في هذا المبحث نحاول أن نبين اختلاف معنى الدلالة لصيغة تفاعل في توجيه النص الخطابي التي يكون فيها الفك والإدغام جائزا على وجهين، وبدلالتين مختلفتين، تعطي كل منهما توجيها معينا بحسب السياق الذي وردت فيه، وبالتالي يكون له أثر في المعنى للنص الخطابي، فمعلوم أن الإدغام يؤثر في المعنى

الدلالي للكلمة بحيث يعطي دلالة مغايرة للكلمة إذا خففت وفك إدغامها كما سيبين – إن شاء الله–، وهذا التنوع نجده في أغلب الكلمات التي بها إدغام في قراءة، وليس بها إدغام في قراءة أخرى، ومن أمثلة ذلك:

1- لفظة ( اثاقلتم) في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ﴾ التوبة: 38، حيث جاء في قراءة الجمهور (اثاقلتم) بالإدغام ، وجاء على قراءة الأعمش (تثاقلتم) بفك الإدغام وهو الأصل، وبين القراءتين اختلاف في المعنى، فعلى القراءة الأولى يكون المعنى: أخلدتم إلى الدنيا، وهو ما يفيد الدلالة على المبالغة في الركون إلى الأرض وشدة الالتصاق بها، فاستعمال التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على المبالغة في التثاقل، فـــ"البطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المثّاقل" (الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص 989)، وعلى القراءة الثانية يكون المعنى: تباطأتم وأخلدتم إِلَى الْأَرْضِ كسلاً وفشلاً، فالتثاقل هنا بمعنى التكلف، وهو إِظْهَارُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ، (ابن عاشور، التحرير والتنوير (1984ه)، 197/10)، وهو ما يوحي إليه معنى صيغة (تفاعل) فبزوال الشَّدة اختلف التوجيه الدلالي للنص، واستظهر التصور الذي يوحي إليه (تثاقل) من السرعة والخفة في الحركة الجسدية، التي هي عكس الدلالة الأولى وهي البطء، والتقاعس، قال الطبرسي: "والتثاقل تعاطي إظهار ثقل النفس و مثله التباطؤ وضده التسرع"( مجمع البيان(د.ت)،45/5)، والتثاقل يدل على الركون والميل إلى الأرض وحبهم إليها، بدل أن ينفروا إلى القتال والجهاد، قال ابن عاشور: "لأن حسن دلالة اللفظ على المعنى بحيث لا يخلُفه فيه غيره، مقدَّم على مراعاة خفَّة لفظه" ( التحرير والتنوير( 1984م)، 113/1).

2- ومن أمثلة ذلك –أيضا- ( اداركوا) من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ الأعراف:38، حيث تبين قراءة الإدغام حال التابعين والمتبوعين وهم يلحق بعضهم بعضا في حركة بطيئة خوفا وهلعا مما هم فيه من العذاب، بينما القراءة الثانية ( تداركوا)، وهو الأصل، تجسد حركة السرعة في ملاحقة ومتابعة بعضهم بعضا في الدخول إلى النار، وَالْمَعْنَى على قراءة الجمهور: بلِ ادَّارك علمهم، أي: تدارك بمعنى تكامل، وكذلك الحال في ( فَادَّارَأْتُمْ) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ﴾ البقرة: 72 والأصل: (تدارأتم) ، تفاعلتم، فحين يتقاذف الناس الاتهامات تقلب التاء دالاً وتدغم بأختها، وتحتاج همزةَ وصل حينئذ فتصير (ادّارأتم) ، بينما المعنى الدلالي في قـــــراءة ( تدارأتم) يشير إلى أن من يُشار إليه بالبنان يحاول أن ينفي عنه التهمة بالإسراع باتهام غيره ومنازعته دون دليل، ليسلم كل منهم برأسه وينجو من العقاب.

وبالجملة: جاء الإدغام كثيرًا في صيغة (تفاعل): اثاقلتم. ادارك. اداركوا. ادارأتم، ففي الصيغتين ( الفك والإدغام) اختلاف في تجسيد الموقف وتصوره، فدلالة الإدغام تصور الموقف كأن فيه حركة بطيئة ثقيلة وتأخر وبطء في الاستجابة وتعثر وتمايل يظهر عدم الرغبة في إيراد ذلك الفعل ونحوه، وأما الفك والتخفيف فهو على عكس دلالة الإدغام تماما ففيه تصور سريع وخفة في الفعل، أو الرغبة في التخلص منه، على حسب معنى ذلك اللفظ، والقول كذلك: فالقراءة بالإدغام لقوله تعالى: (أن يصالحا)، والقراءة بالتخفيف (أن يصلحا)، بينهما تفاوت في المعنى واختلاف في التأويل، إذ لو أدغمنا لكانت دلالة الصلح تحصل بشيء يقع بسبب على المفعول إن جعلته مسمى له، أي: للمصطلح عليه، وهذا ينتفي حصوله على قراءة التخفيف، قال الحلبي:" والحاصلُ أنه من بقية القراءات ينتفي عنه وجهُ المفعولِ به المذكورِ في قراءة الكوفيين"(الدر المصون(د.ت)، 109/4)، ودلالة التخفيف كما أشار ابن عاشور إلى :"أن يصلح كلٌّ واحدٍ منهما شأنهما بما يبدو من وجوه

المصالحة"( التحرير والتنوير(1984م)،216/5)، وعلاوة على ذلك فإن قراءة الإدغام تُشعر بالحث والسعي فرادى وجماعات على التصالح والاتفاق بطيب نفس من الطرفين والمشاركة في تحقيقه والوصول إليه، فالحالة هذه تتناسب مع قراءة الإدغام أثرا ومعنى، وفي صورة أخرى لهذا الأثر – أيضا–، فقراءة الإدغام لقوله تعالى: (تسّاقط) أبلغ وأقوى في تصوير وتوصيف المعنى لمفهوم الهز الذي يتناسب والمقام، في حين أن قراءة التخفيف (تُسقط) لا تعبر عن معنى مفهوم الهز المتكرر الذي يحتاجه الرطب حتى تتم عملية إسقاطه، وإنما هو مجرد السقوط فحسب، وبالنظر إلى القراءتين تكون الأولى أقوى أثرا من الثانية في تجسيد الحالة وتصور المشهد، وعدا هذا المفهوم لا يمكن أن يُدّعَى بأن (تتساقط) هي بمعنى (تُسْقط) إلا في التعدية فقط، فكلاهما لها معنى غير المعنى الذي تفيده الأخرى، وهو وجه آخر أفاد به فريد السُّليم ويعد في إطار القراءة المتجددة للنص وضمن معيار التأويل.

والملاحظ من هذا كله أن الفك والإدغام والتشديد والتخفيف هو تنوع صرفي يؤدي في حقيقته إلى تناغم صوتي بين الحروف المتقاربة فيما بينها في المخارج، ولهذا التقارب تأثير دلالي في أداء المعنى، ففي حال الإدغام – مثلا– فيما كان من مخرج التاء يكون المعنى أقوى. كما ذكر العلماء: لا يصح إلا وأن تكون الفاء حرفا، حينئذ يصحّ إدغام التاء فيه وإظهارها، فالإظهار نحو: تطيّروا وتطايروا، والإدغام بأن تسكن التّاء وتقلبها طاء وتدغمها في الطّاء التي هي فاء الفعل، وتجتلب لأجل تسكين التّاء لإدغام همزة الوصل فتقول: اطّيّروا واطّايروا، وكذلك تقول في تزيّنوا وتزاينوا:ازّينوا وازّاينوا، وتقول في تثاقلوا وتدارأوا: اثّاقلتم وادّاراتم، والنكتة فيه أنه لا يصح إلا مع الفعل الماضي، فأمّا المستقبل فتقول في يتدارك: يدّارك، فتقلب التاء في يتدارك دالا وتدغمها، (السيرافي، شرح كتاب سيبويه(2008م)،449/5، بتصرف).

**المطلب الثاني: استعمالات ( تفاعل) في تأويل توجيه النص:**

تأتي ( تفاعل) في بعض استعمالاتها لتدل على شدة وقوة الفعل واتصافه به، وذلك إذا كان النص الخطابي يحتاج إلى دلالة قوية تلفت انتباه السامع إليه، فاستعمالها حينئذ يفضي إلى تكرار الفعل، ففي قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الزخرف: 85، دل لفظ (تبارك) على معنى الاتصاف بالبركة:" اتصافا قويًّا لِمَا يدل عليه صيغة تفاعَلَ من قوَّة حصول المشتق منه ...، فاستُعملَتْ في مجرَّد تَكَرُّر الفعل، وذلك مثلُ: تَسَامَى وَتَعَالَى"(التحرير والتنوير(1984م)، 25/ 268)، فالتعبير بلفظ التفاعل يوحي بكثرة الفعل والمبالغة فيه، وفي ضوء القراءة المتجددة للنص يلفت انتباهنا ماقاله الدكتور محمد الطريحي: بأن (تبارك) تحمل دلالة التبادلية، وهذه الدلالة تتم بين طرفين متشابهين وغير متشابهين مثل تقاتل الرجلان والرجال، وتتم بين العالي والداني، وبين العاقل وغيره والحي والجماد، (أسلوب صيغ أفعال المشاركة ومصادرها في الأداء النحوي، ص10)، وهو استنتاج اعتمد فيه على تحليله للنصوص القديمة للأزهري والجوهري، وقرر أن العلاقة التبادلية بين الرب وعبده في (تبارك) ترجع إلى الاتفاق في الأصل لا في المعاملة، ويمكن أن نصنف هذه الدلالة في سياق التأويل للنص الخطابي بحيث تؤدي دورها كما بينه الطريحي، والدلالة ذاتها من جهة التكرار والمبالغة نلمسها في قراءة السُّلَمِيُّ: وَادَّارَسُوا، وَأَصْلُهُ: (وَتَدَارَسُوا)، فهذه القراءةُ توضح أنّ معنى وَدَرَسُوا هو التَّكرار لقراءته والوقوفُ عليه. (أبو حيان، البحر المحيط(1420ه)، 211/5)، ومنه – أيضا– قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ﴾ يوسف: 30، فمعنى (المراودة): الطلب مرة بعد مرة، وفيه ما فيه من الدلالة النفسية على القوة والشدة، والحث على الطلب للإيقاع به في الفاحشة أكثر من مرة لدلالة المبالغة على ما اتصف به،( ابن القيم الجوزية،

تفسير القرآن الكريم (1410ه)،ص328)، فالمشاركة إذا لم يكن الواقع يقتضيها، فهي للمبالغة، قال أبو السعود:" وصيغةُ التَّفاعلُ للمبالغةِ فيما ذكر ..." (إرشاد العقل السليم(د.ت)،200/6)، ، نعم، قد يقول قائل إنما هذا المعنى مكتسب من دلالة الفعل (راود)، ولكن هذا المعنى هو المعنى المجرد من غير دلالة أخرى تدل عليه، فالتعبير بصيغة (تفاعل) أضاف معنى بلاغيا آخر، وهو الحث والإصرار والتكرار "وتخصيص لفظ التفاعل لمبالغة ذلك منه لا على سبيل التكلف"،( الربيعي، علياء نصرت حسن. (1426ه، 2005م). المجالات الدلالية في صيغ الأفعال المزيدة في السّور السبع الطُوال. ص32)، ويدلك على هذا كذلك قول السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران: 140، حيث نص على أن: "المُدَاوَلَةُ: المناوَبَةُ على الشيء والمعاوَدَةُ وتَعَهُّدُه مرةً بعد أخرى. يقال: داوَلْتُ بينَهم الشيءَ فتداولوه، ( الدر المصون(د.ت) ،404/3)، فالمتأمل في النص يدرك تماما أن استعمال صيغة (تفاعل) لها دلالة التكرار التي تفيد الكثرة والمداومة على فعل الشيء، غير أن ابن عطية يرى في تأويله معنى غير الذي ذهب إليه الحلبي، فقد وجه معناها إلى معنى المفاعلة التي تكون من طرف واحد، ولولا أن السياق القرآني – حسب قوله– يرتضي ما ذهب إليه أبو حيان ويقبله، لما حسن ذلك عنده، ( المحرر الوجيز (1422ه)،514/1)، وقد أفاد أبو السعود: بأن التفاعل الذي يحدث بين الشيئين قد تُجَرَّدُ عنه فتكون بمعنى آخر وهو تعدد الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ النجم: 55. (إرشاد العقل السليم(د.ت)، 165/8)، فهذه الاستعمالات النصية لصيغة (تفاعل) لها دلالاتها المختلفة والمتنوعة في توجيه النص، كما لها أثرها في فهم الخطاب.

وقد تَخْرُجُ صيغة ( تفاعَل) عن حقيقتها فيؤتى بها للتعبير عن دلالة أخرى تفهم بالقرينة، وضابط هذا الاستعمال إذا كان الخطاب لغير معين كما في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن

مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ المائدة: 79، قال أبوالسعود في بيان معنى هذه الآية الكريمة:" وليس المراد بالتناهي أن ينْهَى كلٌّ واحد منهم الآخَرَ عما يفعله من المنكر، كما هو المعنى المشهورُ لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن أشخاص متعددة من غير اعتبارِ أنْ يكون كلٌّ واحدٍ منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءَوْا الهلالَ"( إرشاد العقل السليم (د.ت)، 69/3)، فقد أوضح بأن التناهي ليس بالضرورة أن يكون بين اثنين، وإنما قد يصدر عن أكثر من ذلك، في إشارة واضحة منه إلى دلالة هذه الصيغة على معنى آخر غير المعنى الأصلي لها، ومن جانب آخر فقد أفاد ابن عاشور بأن:" المفاعلة مقدَّرة وليست حقيقيَّة، والقرينة عموم الضمير في قوله (فعلوه)" (التحرير والتنوير(1984م)،294/6)، ثم أضاف قائلا:" ولك أن تجعل المفاعلة على غير بابها كما تقول: تدايَنْتُ من زيدٍ" (التحرير والتنوير(د.ط،1984)،98/3)، وربما يتضح لنا هذا الاستعمال أكثر في التوجيه الخطابي في قراءته للنص، عندما أشار بأن الأصل في التداول في قوله تعالى: ( وَتِلْكَ الأيام نُدَاوِلُهَا) هي (تفاعل) من دال، وهذا التفاعل من التداول لا يكون إلا في الأشياء والكلام، وهو توجيه قل نظيره حيث ارتبط وتحدد بخصوصيات وعلاقات محددة، ولكنه قد يستعمل في غير حقيقته، وقرينة ذلك أن تأتي بلفظة ( بينهم) فقال: "... ثم استعملوا داولْتُ الشيء مجازا، إذا جعلت غيرك يتداولونه، وقرينة هذا الاستعمال أن تقول: بينهم، فالفاعل في هذا الإطلاق لا حَظَّ له من الفعل، ولكن له الحظُّ في الجعْل، وقريبٌ منه قولهم: اضطررتُه إلى كذا، أي: جعلتُه مضطرًّا مع أنَّ أصل اضطرَّ أنَّه مطاوِعُ ضَرَّهُ"(التحرير والتنوير(1984م)، 100/4)، وفي توجيه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ الأعراف: 38 ، ذكر الحلبي أن (اداركوا) على (أفعل) بمعنى (تفاعل)، وبذلك تتحد القراءتان، أي قراءة ابن كثير وقراءة الباقين من السبعة، فأفاد قائلا:" وقراءةُ ابنِ كثير قيل: تَحْتمل أن يكونَ (أَفْعَلُ) فيها بمعنى تَفاعَلَ فتَتّحِدَ

القراءتان"(الدر المصون(د.ت)،635/8)، ووجه ابن عطية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر لـــ(يصّالحا) بفتح الياء وتشديد الصاد وألف بعدها بأنها بمعنى (تفاعل)، وتعليله في هذا :" أن تفاعل قد جاء متعديا في نحو قول ذي الرمة:

ومن جردة غفل بساط تحاسنت ... بها الوشي قرّات الرياح وخورها "( المحرر الوجيز(1422ه)،120/2).

فتأويل ابن عطية لهذا اللفظ في هذه القراءة جاء وفاقا لما أوضحه القرطبي بقوله:"... فمن قرأ (يصالحا)، فوجهه: أن المعروف في كلام العرب إذا كان بين قوم تشاجر أن يقال: تصالح القوم، ولا يقال: أصلح القوم؟ ولو كان أصلح لكان مصدره إصلاحا" (الجامع لأحكام القرآن(1384هـــ - 1964 م)، 405/5)، وفي هذا التوجيه على هذه القراءة دلالة معنوية ترمي إلى التفاعل والتراحم وترك الشقاق، قال الزمخشري:" ومعنى الصلح: أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها"( الكشاف(1407هـــ)، 1/ 571)، فضلا على أن ما في (يصالحا) من التجدد والدوام ما لا يوجد في ( يصلحا)، ولا يخفى أن ما في القراءة الأولى من الدلالة ما يترتب عليه توجيه المعنى إلى إصلاح الحال بشيء تقع بسببه المصالحة.

ولو تأملنا استعمال هذه الصيغة في لفظة ( ادارأتم) على (تفاعل) التي تحمل دلالة التدافع على حقيقته للاحظنا أن دلالة هذه الصيغة في هذا السياق أبلغ من غيرها في توصيف ذلك التدافع؛ إذ إن كل واحد يستميت في طرح القتل عن نفسه ويدفعه إلى غيره في صورة ظاهرة تدل على شدة الاختصام والحرص في تبرئة كل من الطرفين ذاته أمام الملأ، قال الألوسي :" فكل منهما من حيث إنه مطروح عليه يدفع الآخر من حيث إنه طارح"( روح المعاني(1415 ه)،293/1)، ولا يصح أن

تكون بمعنى(افتعل) لاختلافها معنى ووزنا، ومن رأى ذلك فقد غلط قال الزركشي:" وقال بعض الأدباء (ادارأتم) افتعلتم، وغلط مِن أوجه..." ( البرهان في علوم القرآن(1391ه)،299/1)، فهذا الاستعمال ينبئك على شدة التفاعل والاتصاف به حقيقة أو مجازا، وقال ابن عاشور في تأويل معنى (تتمارَى) وتوجيه دلالته إلى معنى مجازي:" والتّمَارِي: تَفَاعُلٌ مشتقّ من المِرْيَة، وهي الشّكّ، واشتقاق المفاعلة يدل على أنها إيقاعٌ من الجانبين في الشَّك، فيؤول إلى معنى المجادلة في المعتقد لإبطاله، وهُو يفضي إلى الشك فيه، فأطلق المراء على المجادلة بطريق المجاز، ثم شاع فصار حقيقةً لمَّا ساوى الحقيقة" (التحرير والتنوير(1984م)،294/15). فتعدد المعاني لصيغة (تفاعل) هو الذي يكسبها تفاعلا وانسجاما مع النص، ففي قول علي بن أبي طالب – ﷺ– الآتي:

إذن لاتبعناه على كل حَالَة ... من الدَّهْر جدا غير قَول التهازل (البغدادي، خزانة الأدب ( 1418 هـ – 1997 م)56/2، 78)

توظيف بليغ للفظة ( التهازل) على هذا الوزن التي بمعنى الهزْل كتوانيت بمعنى (ونيت) ليضفي على المعنى صورة جمالية هي أبلغ من توظيف الفعل المجرد لها، وفي قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ القلم: 49، فمعنى التدارك هو التتابع واللحاق (الفيومي، المصباح المنير(د.ط،د.ت)،192/1، مادة: درك)، وهذا المفهوم أوله المفسرون إلى أن النعمة هي التي جعلت صاحبها تلحقُه، ولم يشيروا فيه إلى معنى المشاركة بين الطرفين بشكل واضح، وهنا يمكن القول: إن التدارك معني به الله ﷻ، وهو الذي يتدارك عبده بالنعمة، لا النعمة نفسها، وهو ما أفادنا به الطريحي في تأويله لهذا اللفظ الكريم.(أسلوب صيغ أفعال المشاركة ومصادرها في الأداء النحوي، ص5، بتصرف).

**الخاتمة:**

وبعد هذه الدراسة لصيغة تفاعل وصلنا إلى نتائج نجملها في الآتي:

1. الصيغ الصرفية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدلالة وهذا الارتباط يمكن توظيفه بشكل كامل ودقيق في فهم النص الخطابي فهما دقيقا.

2. المعنى المعجمي والسياقي عاملان أساسيان في فهم النص.

3. التجديد لا يعني إهمال القديم، وإنما هو تغيير في المفهوم أو التصور نتيجة لتغير الزمن والعصر.

4. الحركات لها دلالاتها التعبيرية الخاصة في النص الخطابي كالضمة والفتحة والكسرة والألف في تفاعل.

5. البناء الصرفي للصيغة يغير من دلالة المعنى وقد ظهر جليا في القراءات القرآنية المتعددة في نحو: اثاقل، و ادارك، وتظاهرون،...

6. البناء الصرفي لا يعول عليه أحيانا في تأويل المعنى والأداء الوظيفي على ما ذكرنا مفصلا في لفظة (ادارك).

**المراجع:**

**أولا :القرآن الكريم من مصحف المدينة للنشر الحاسوبي.**

**ثانيا: الكتب العلمية.**

1- ابن جني،أبو الفتح عثمان،الخصائص،(الطبعة:الرابعة)،الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2- ابن جني، أبو الفتح، عثمان، المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني (الطبعة: الأولى 1373هـ - 1954م)، دار إحياء التراث القديم.

3- ابن خالويه، أبو عبدالله، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع ( د.ط، د.ت)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت.
4- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، التحرير والتنوير(د.ط، 1984م)، الدار التونسية للنشر – تونس.
5- ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،( الطبعة: الأولى، 1422 هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت.
6- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم(الطبعة: الأولى، 1419 هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.
7- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب( د.ط، د.ت)، المحقق : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.
8- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (د.ط، د.ت)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
9- الأزهري، عطاء الله بن أحمد، نهاية الأرب في شرح لامية العرب( د.ط،1430هـ– 2009م)، تحقيق:جميل عبد الله عويضة.
10- الأستراباذي، رضي الدين حسن بن محمد بن شرف، شرح شافية ابن الحاجب( الطبعة: الأولي 1425 هـ– 2004م)،تح: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية.
11- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(الطبعة: الأولى، 1415 ه)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت.
12- الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، البحر المحيط في التفسير،(د.ط، 1420 هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.
13- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (الطبعة: الرابعة، 1418 هـ – 1997 م)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
14- الجوزية، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين، تفسير القرآن الكريم،(الطبعة: الأولى،1410هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت.
15- الدرة، محمد علي طه، فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال(الطبعة: الثانية، 1409 هـ– 1989 م)،مكتبة السوادي جدة – السعودية.
16- الزبيدي، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس( د.ط، د.ت)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
17- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن (د.ط، 1391ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة– بيروت.
18- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،( الطبعة: الثالثة، 1407 هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت.

19- الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع(الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002 م)، دار إحياء التراث العربي.
20- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو(الطبعة: الأولى، 1420 هـ- 2000 م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن.
21- السُّليم، فريد بن عبدالعزيز، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، ( الطبعة: الأولى، 1427ه)، دار ابن الجوزي، جامعة القصيم- السعودية.
22- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون(د.ط،د.ت)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
23- السيرافي، أبو سعيد، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، شرح كتاب سيبويه،( الطبعة: الأولى، 2008 م)، المحقق: أحمد حسن مهدلي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
24- الشاطبي، أبو إسحق، إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية( د.ط، د.ت)،المحقق: مجموعة محققين.
25- الشنقيطي، محمّد محمود، ديوان الهذليين،( د.ط،1385هـ - 1965 م)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية.
26- الطبرسي، أمين الإسلام أبي على الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان( د.ط، د.ت) المجمع العالمي لأهل البيت.
27- العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري،( د.ط،د.ت) دار إحياء التراث العربي – بيروت.
28- الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، التعليقة على كتاب سيبويه(الطبعة: الأولى، 1410هـ - 1990م)، المحقق: د. عوض بن حمد القوزي.
29- الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة (الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993م)، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت.
30- الفراهيدي، الخليل بن أحمد( د.ط،د.ت)، تحقيق: د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.
31- الفيومي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ( د.ط،د.ت)، المكتبة العلمية – بيروت.
32- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن(الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة.

**ثالثا: الرسائل العلمية.**

1- الربيعي، علياء نصرت حسن. (1426ه، 2005م). المجالات الدلالية في صيغ الأفعال المزيدة في السّور السبع الطُوال. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، العراق.

**رابعا: الدوريات والبحوث.**

1- الجرادات، خلف عابد.(1434ه، 2013م). الترادف الدلالي بين صيغتي افتعل وتفاعل. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، (9)، العدد:4.

2- الشحود،علي بن نايف،الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم

3- الطريحي، محمد جواد( د.ت). أسلوب صيغ أفعال المشاركة ومصادرها في الأداء النحوي، كلية الآداب، جامعة بغداد: العراق.